



OPEN ACCESS

تاريخ الاستلام: 2024-2-25

تاريخ القبول: 2024-3-20

قراءة في كتاب: روح القيم وحرية المفاهيم.

نحو السير لإعادة الترابط والتكامل بين منظومة القيم والعلوم الاجتماعية.

نصر الدين بن سراي⁽¹⁾

benseraï20@gmail.com

عبد الحليم مهور باشة⁽²⁾

halim-bacha@hotmail.fr

الملخص:

تسعى هذه المراجعة لكتاب «روح القيم وحرية المفاهيم»، إلى عرض أهم معالم الأفكار والأغراض المنهجية التي نهض الكتاب لأجلها، وهي إعادة تمكين القيمة في حقل العلوم الاجتماعية، ونقد النموذج المعرفي الديكارتي الذي غدّى ويغدّي أسس هذه العلوم. إنَّ أفكار الكتاب، هي سعي منهجي لأجل وضع مبادئ أخرى لقيادة العقل، من المبادئ الرياضية إلى المبادئ القيمية، وبالتالي، فإنَّ أهداف هذه المراجعة، هي الوعي المنهجي بالقيمة، ودورها في تحرير العلوم الاجتماعية من النماذج المعرفية الديكارتية، وكذا الوعي بأن تجديد القيمة، بأن تصبح هي الأسس الإستمولوجية الجديدة، طريق آخر نحو تجديد المفاهيم في الوعي العربي والإسلامي المعاصرين، فالوعي بمحورية القيم وأسبقيتها الانطولوجية والمنطقية. تعادل الشُّروع في تجديد المفاهيم وتطوير مقولات معرفية تمتاز بالإبداع والتأثير في السياق؛ وخُلصت المراجعة، إلى أنَّ التأسيس القيمي للعلوم الاجتماعية، هو المسلك الراشد نحو الحرية النظرية والعملية.

الكلمات المفتاحية:

القيم، التكامل، حرية المفاهيم، العلوم الاجتماعية، الإستمولوجيا الجديدة.

(1) محاضر أ جامعة مين دباغين سطيف02، الجزائر.

(2) أستاذ التعليم العالي جامعة مين دباغين سطيف02، الجزائر.

للاقتباس: بن سراي، نصر الدين، مهور باشة، عبد الحليم، قراءة في كتاب: روح القيم وحرية المفاهيم: نحو السير لإعادة الترابط والتكامل بين منظومة القيم والعلوم الاجتماعية، مجلة نماء، مركز نماء، مصر، مج8، ع1، 238-249.

© نشر هذا البحث بموجب ترخيص (CC BY-NC 4.0) المفتوح، الذي يسمح لأي شخص تنزيل البحث وقراءته والتصرف به مجاناً، مع ضرورة نسبته إلى صاحبه بطريقة مناسبة، مع بيان إذا ما قد أجري عليه أي تعديلات، ولا يمكن استخدام هذا البحث لأغراض تجارية.

OPEN ACCESS

Received: 2024-2-25

Accepted: 2024-3-20



A Reading of *The Spirit of Values and Freedom of Concepts*:

Towards Re-connection and Integration between the System of Values and Social Sciences

Nasraddine Benserai⁽³⁾

benserai20@gmail.com

Abdulhalim Mahor Bacha⁽⁴⁾

halim-bacha@hotmail.fr

Abstract:

This paper is a review of the book *The Spirit of Values and Freedom of Concepts*. It aims to present the most important features of the ideas and methodological purposes for which the book was written, which is to re-empower value in the field of social sciences and to criticize the Cartesian cognitive model that continues to nourish the foundations of these sciences. The ideas of the book are a systematic effort to establish other principles to guide the mind, from mathematical principles to value principles. Therefore, the objectives of this review are to enhance a systematic awareness of value and its role in liberating the social sciences from Cartesian cognitive models, as well as to promote the awareness that renewing value to become the new epistemological foundations is another path towards renewing concepts in contemporary Arab and Islamic consciousness because awareness of the centrality of values and their ontological and logical precedence is equivalent to embarking on the renewal of concepts and developing cognitive categories that are characterized by creativity and influence in the context. The review concluded that the value-based foundation of the social sciences is the correct path towards theoretical and practical freedom.

Keywords:

Values, Integration, Freedom of Concept, Social Sciences, New Epistemology.

(1) Lecturer at Lamine Debaghine University, Setif 02, Algeria.

(2) Professor of Higher Education, Lamine Debaghin University, Setif 02, Algeria.

Cite this article as: Benserai, Nasraddine, Mahor Bacha, Abdulhalim, A Reading of *The Spirit of Values and Freedom of Concepts*: Towards Re-connection and Integration between the System of Values and Social Sciences, *Journal of Namaa*, Nama Center, Egypt, V8, issue 1, 2024: 238-249.

© This research is published under an open license (CC BY-NC 4.0), which allows anyone to download, read and use the research for free, provided it is properly acknowledged, indicating if any modification has been made to it. This research shall not be used for commercial purposes.

يقع الكتاب الذي بين أيدينا في حوالي 294 صفحة، يتشكل من مقدمة، وقسمين، القسم الأول، ضم ثلاثة فصول، والثاني نفسه بالنسبة للقسم الثاني، الذي ضم ثلاثة فصول، تندرج الإشكالية الرئيسية للكتاب في السؤال عن الكيفية التي يعاد بها الوصل والتكامل بين العلوم الاجتماعية ومنظومة القيم، مقترحًا الكاتب تجاوز العقلانية الديكارتية التي قامت على التبسيط والاختزال، والفصل بين القيمة والمعرفة العلمية، داعيًا إلى ضرورة تبني عقلانية جديدة، بسبب الأزمات التي تولدت عن العقلانية الديكارتية، أو العقلانية الأداة بلغة مدرسة فرانكفورت، واسمًا الكاتب هذه العقلانية الجديدة بالعقلانية المنفتحة، تقع مبادئها على الطرف النقيض من مبادئ العقلانية الأداة، تعتبر القيم إطارها المعرفي المرجعي وأسسها.

جاءت مقدمة الكتاب، كثيفة المعنى، قوية المبنى، حدّد فيها المؤلف الزاوية المعرفية والمنهجية التي عالج من خلالها الإشكاليات الفرعية لهذا الكتاب، كالفصل بين القيمة وعلوم النفس، وتجليات هذا الفصل في علوم الإعلام المعاصرة، وامتدادات هذا الفصل في الحياة الأخلاقية الحديثة، والعلاقة بين المخالفة والفضاء العمومي، وعلى هذا الأساس، يرى الباحث أن الانفصال والاختزال أصبح السمة البارزة للعلوم الاجتماعية المعاصرة، بسبب تبني قواعد العقل الديكارتية، التي صورت العالم بسيطاً ومجزئاً وقابلًا للإدراك الحسي، فيما راهن الكاتب على فكرة النموذج المعرفي كبديل عن النظرية والمنهج في فهم التحولات المعرفية التي عرفتها العلوم، والمآلات التي انتهت إليها، كشعور مشتغلها بالخيبة المعرفية.

يرى المؤلف ضرورة شق التفكير خارج الخطاظة الديكارتية الباحثة عن قواعد لقيادة العقل وتوجيه المعرفة وفق مبادئ ترسخت حتى ظن الظان أن لا مبادئ أخرى يمكن أن تحل محلها⁽⁵⁾، انتقل هذا العقل من لحظة التأسيس مع ديكارت إلى مرحلة التدمير مع نيتشه، وما توسطته من فلسفات نقدية كالحظة كانط. يرى الكاتب أن هذه القواعد التي حكمت الممارسات العلمية حين من الدهر، فانه من حق الفلسفة اليوم؛ أن تشرع لأسس وقواعد جديدة، ويندرج هذا الكتاب في هذه الجهود المؤسسة لعقلانية جديدة.

يرى الكاتب أن العقل الديكارتية الذي كان له الحظ الأوفر، فكانت له السيادة، أن أسسه أضحت مصائب العقل بذاته، كانفصال العلوم، ومحدودية التفسير، لذلك طرحت بدائل للعقلانية الديكارتية ممثلة في النموذج المعرفي، الذي من سماته: النسبية، الحتمية التحيزية، والبناء الذي يبتغيه المنهج وغيرها. لذلك يؤكد المؤلف أنه أمام تراجع النموذج العلمي، بإمكان العقل وضع نموذج جديد في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية، يكون قوامه الأخذ بالعقل إلى رحابة القيمة، ورحابة العقلانية الروحية،

(5) عبد الرزاق بلعقروز، روح القيم وحرية المفاهيم، بيروت: المؤسسة العربية للفكر والإبداع، ط1، 2017، ص8.

والانتقال به من العقلانية الأداتية إلى العقلانية التركيبية، والانفتاح على الغائية وعلى الطبيعية التركيبية للعلوم.

يختتم الكاتب هذه المقدمة موضحاً دعوته قائلاً: إننا أردنا أن نحرر العقل من المبادئ التي تقوده، لكي نأخذ به إلى أفق القيمة، والقيمة هنا، بما هي كليات تأسيسية، وبما هي مشروع للهوية الإنسانية، القيمة هي قوام للعلوم، والروح السارية فيها.

القسم الأول بعنوان: نحو مبادئ أخرى لقيادة العقل، والبحث عن الحقيقة في العلوم النفسية والإعلامية والعملية.

أتى الفصل الأول في هذا القسم بعنوان: القيم الأخلاقية و العلوم الاجتماعية، وضم أربعة عناصر أساسية، طرح في فاتحته الكاتب الإشكالية الرئيسية، والأهداف التي يروم تحقيقها، «كإعادة بناء منهج النظر إلى القيم الأخلاقية، وذلك بنقلها من دائرة الوجود الكمالي، أو التجزيئي، أو التهمشي إلى دائرة النموذج الحاكم، أو الإطار المرجعي الذي ينظم العلوم الإنسانية»⁽⁶⁾، موضحاً الأهداف التي يروم تحقيقها في هذا الفصل، نذكر من أهمها: المشاركة في جهود الإصلاح المعرفي المعاصرة التي تهدف إلى تجديد النظر في القيم الأخلاقية، وبيان محوريتها في فعل الإصلاح والانجاز العملي⁽⁷⁾.

في العنصر الأول المعنون بمسوغات تجديد منهج النظر في القيم الخلقية وصلتها بالعلوم النفسية، استلهه الكاتب بتحديد مفهوم القيمة الأخلاقية، قاصداً بها: القواعد التي تنضبط بها جميع الممارسات، وخاصة أن الغائية الكبرى للوجود الإنساني هي غائية أخلاقية⁽⁸⁾. وعرج بعدها على ذكر مسوغات أو مبررات تجديد منهج نظر في القيمة، حيث يرى أن المشروع الحدائثي الغربي هو المسؤول معرفياً عن فصل نظام القيمة الخلقية عن دوائر المعرفة الأخرى⁽⁹⁾. ثم قسم هذه المبررات إلى مبررات السلب؛ تتمثل في أثر الحدائث الانفصالية على منظومة القيم الأخلاقية، ومن تجلياتها: انفصال الممارسة العقلية عن القيم، وتوريث منظومة التبسيط، انفصال التقنية عن الأخلاق، وكذلك توريث الاغتراب والتحكم التقني في الإنسان⁽¹⁰⁾.

(6) المرجع السابق، 17.

(7) المرجع السابق، ص 17.

(8) المرجع السابق، ص 22.

(9) المرجع السابق، ص 24.

(10) المرجع السابق، ص 26.

- المبرر السلبي الآخر؛ يتمثل في الرؤية التجزيئية للقيم الأخلاقية ضمن نظريات القيمة المعاصرة، والتي انتهت إلى ثلاثة ظواهر: نزع القداسة عن القيم، وذلك بإسكانها في النسبية والظروف، والسياقات التاريخية. المماثلة بين انساق القيم والأنساق الأيدلوجية، فقدان المقوم المسدد في تأسيس القيم.

المبرر السلبي الثالث: الجدالات الكلامية وإفراغ القيم من معياريتها التأسيسية، يعتقد المؤلف أن القيمة فقدت قيمتها في المجال التداولي الإسلامي، بسبب المناظرات والجدالات النظرية حول القيمة وأسبقية قيمة معينة على أخرى، بدلا من إسكان هذه القيم في واقع الفعل الإنساني، لذلك كبح الجدال الكلامي الدور الأخلاقي للقيم في الفضاء الاجتماعي الإسلامي.

- أما مبررات الإيجاب، فيرى الكاتب ضرورة أن نرفع القيم الأخلاقية إلى مرتبة النموذج الحاكم، بحيث تكون حاکمة على العلوم النفسية، لأن القيم الأخلاقية في التصور الإسلامي ليست مجرد فضائل: أي وصف تكميلي لا يحدث الضرر فقده، وإنما هي إطار ناظم، وعنصر تأسيسي ومفهوم محيط بمختلف العناصر الممثلة للحياة⁽¹¹⁾.

في العنصر الثاني المعنون بإبستمولوجيا الفصل وانعكاساتها على العلوم النفسية، بيّن فيها الكاتب الكيفية التي يعاد بها الوصل بين العلوم النفسية والمنظومة القيم الأخلاقية، بعد الانفصال الذي رسخته الإبيستمولوجيا العلم الطبيعي، قائلا: «يتعين علينا استعادة هذه الصلة الممزقة بين القيم بوصفها مرجعا حاكما، والعلوم النفسية من حيث تجديد الأسس المعرفية للمقاصد الأخلاقية؛ كيما يتحقق التكامل بين العلوم، وتنضبط الممارسة المعرفية بنظام القيم الحاكمة»⁽¹²⁾.

جاء العنصر الثالث من هذا الفصل بعنوان: إبستمولوجيا الفصل وانعكاساتها على العلوم النفسية، بيّن المؤلف للقارئ؛ كيف فُصل بين القيم والمنظومات المعرفية النفسية، وكيف قامت بتجزئة الإنسان إلى مجموعة من التصورات النفسية التي لا رابط بينها، وبالغت إبستمولوجيا العلوم النفسية في التفسير المادي للظواهر النفسية، لذلك يرى الكاتب انه نظرا للمآلات السلبية التي تسبب فيها النموذج المعرفي الانفصالي، يصبح الوصل بين القيم الأخلاقية بالعلوم النفسية شرطا ضروريا، ومؤسساً لبعدها جديد في هذه العلوم (البعدها الروحي)، مع التذكير أن أهم خصيصة في التراث الإسلامي النفساني هو البعد الإصلاحي للإنسان.

- في جزئية أخرى، يرى المؤلف أن التكامل بين القيم الأخلاقية والعلوم النفسية: ليس القصد من رفع القيمة الخلقية إلى مرتبة الإطار المرجعي الحاكم، وإنما إنجاز التكامل المعرفي بينهما، ويساهم هذا

(11) المرجع السابق، ص 34.

(12) المرجع السابق، ص 40.

التكامل في إعادة الوصل بين المعرفة والحياة، فالعلوم النفسية تفيد من القيم في الإصلاح، والقيم الأخلاقية تفيد من العلوم النفسية في تجسيدها إجرائياً.

في العنصر الرابع: إبستمولوجيا الأخلاقية الحاكمة، يرى الكاتب أن من ثمرات هذه التكامل تحقيق المقاصد الآتية: مقصد الإصلاح، مقصد الحرية، مقصد العدل.

الفصل الثاني: الحداثة الفائقة ومظاهر انفصال الإعلام المعاصر عن القيمة.

استهل الكاتب هذا الفصل بمفتتح إشكالي، طرح فيه الأسئلة الأساسية⁽¹³⁾: كيف تسهم الحداثة الفائقة في إيقاع الانفصال بين الإعلام والقيم؟ وما هي مظاهره ونتائجه في الممارسات الإعلامية المعاصرة؟ وكيف يمكننا إعادة الوصل بين القيمة والإعلام؟ مبينا الهدف المركزي من دراسته بقوله: تحرير الإعلام المعاصر من الرؤية الإعلامية المنفصلة عن التوجيه الأخلاقي، والتفكير في بلورة أخلاقية جذرية.

جاء عنصره الأول تحت عنوان: مفاهيم افتتاحية، تناول فيه، مفهوم الحداثة الفائقة، معتبراً إياها مرحلة متقدمة من مراحل الحداثة، منظومة القيم، الانفصال عن القيمة في الإعلام يقصد به: تخل المضامين الإعلامية عن القيم الموجهة.

جاء العنصر الثاني معنوناً بفعالية التحليل المعرفي والمساءلة الأخلاقية لنظام الإعلام المعاصر، وضح فيه الكاتب منهجية التحليل المعرفي في التعامل الظواهر الإعلامية المعاصرة، من خلال الكشف عن الرؤى الكامنة وراء المضامين الإعلامية، وهي مساءلة من الخارج الإعلام لا من داخله، حيث تبين أن هناك انفصال للممارسة الإعلامية عن الأخلاق، وتوريث لسلوك الغريزي والإنسان الاقتصادي أو السلعي في عصر العولمة.

في العنصر الثالث: الرؤية للعالم ومظاهر الانفصال عن القيم، تتبدى مظاهر الانفصال عن القيم من منظور الكاتب في: الطابع الاستهلاكي وتغيير نظام الأشياء، كذلك في موت الحقيقة واختزال المعرفة في زمن الإعلام المنفصل، وتتجلى هذه المظاهر في: إحلال المجتمع المشهدي محل المجتمع الواقعي، وامتصاص المعنى في وسائل الإعلام ذاتها، وإفراغ الرسالة من مضامينها الحضارية⁽¹⁴⁾، تفكك الروابط المعهودة والثنائيات المتضادة كثنائية الحقيقي والزائف أو الخطأ والصواب.

(13) المرجع السابق، ص 61.

(14) المرجع السابق، ص 84.

في جزئية ثانية ضمن هذا العنصر، الإعلام المعاصر وافتقاد القيم الروحية الأخلاقية قيمتها التوجيهية، شرح المؤلف الانعكاسات السلبية لهذا الافتقاد للقيم الموجهة في: مخالفة القيم المنفصلة لقيم الفطرة الهادية، الإنسان واختزاله في بعد واحد، انفصال اللغة عن القيمة.

أتى العنصر الرابع بعنوان من الإعلام الفائق إلى الإنسان الوقاف، نحو أخلاقيات الحياء، يرى الكاتب إن الإنسان الوقاف هو القادر على التصدي لسلبيات الإعلام المنفصل عن القيمة، «فهذا النموذج من الإنسان الذي يستحضر نظر الشاهدية الإلهية، ويتقوى في قلبه بخلق الحياء ويتفكر في بعقله في نصوص المواد الإعلامية»⁽¹⁵⁾.

الفصل الثالث: روح الفعل الأخلاقي نحور السير لإبداع إمكانات جديدة في الحياة.

توثب الكاتب حزمة من الأسئلة الإشكالية في هذا الفصل، وهي من قبيل: هل مدار تحقق الذات الإنسانية هو النظر أو العمل؟ هل الأولوية للنظر أو للفعل المباشر؟ وقد اتخذ الباحث المفكر محمد إقبال أنموذجا لدراسته حيث تضمنت مدونته الفكرية موضوع فلسفة الفعل.

1. مفهوم الفعل: هي فلسفة «تبحث عن الشروط التي تكمن من رصد التكامل بين الفكر والعمل وحقيقة الفعل أنه الكاشف عن صورة الحقيقة للفكر»⁽¹⁶⁾، أما عند إقبال فهي «فلسفة تصل العلاقة بين النظر والعمل وتربط الفعاليات الإنسانية ضمن رؤية تكاملية للذات الإنسانية»⁽¹⁷⁾.

2. إمكانات الحياة الإبداعية: يؤمن إقبال «بالحرية وبث القوة الروحية في الحياة فلا إبداع في الحياة بلا قيم، ذلك أن التحقق بالقيم هو الذي يورث الإبداع في السلوك والارتقاء في الروح»⁽¹⁸⁾.

تناول المؤلف في العنصر الثاني تصحيح أوجه التعارض بين إنكار الذات والنزعة التأملية؛ إذ يرى إقبال أن التصوف هو الرّهان لإحياء الطاقة الروحية في أعماق الإنسان بعد أن فقد الإنسان المعاصر حياته الروحية. حيث يكامل بين التجربة العقلية والروحية، أي بين مبدأ إنكار الذات والنزعة التأملية، والفعل عند إقبال مبني على الإيمان في حركة توجه الزمن.

(15) المرجع السابق، ص 101.

(16) المرجع السابق، ص 106.

(17) المرجع السابق، ص 107.

(18) المرجع السابق، ص 111.

العنصر الثالث عنونه الكاتب بالأثر الإبداعي والتجديدي للفعل على نشاط الحياة، يرى إقبال إن الزمن ليس هو عبارة عن صيرورة وحسب أو سكون بل هناك ارتباط في مفهوم الزمن بين الرؤية الوجودية والنظرة الحيوية تنطلق أساساً على فكرة استمداد للخلق الإلهي للعالم بمعنى الحضور الإلهي في الوجود.

في عنصر بعنوان الفعل تجديد للعلوم النفسية المعطوبة، اعتبر الكاتب أن العلوم النفسية علوم معطوبة، فعلم النفس يعتبر الدين من وجهة-نظر فرويد- وسواس قهري يجمعه حاجة الإنسان إلى ملاً الخوف والنقص الذي يعتره من عالم الطبيعة، ومنه يرفع إقبال الحياة الدينية على مصاف الأداة العلمية التجريبية التي لا تقل أهمية عن دراسة الظواهر الطبيعية، وعليه فرجل الأخلاق هو المؤهل لأن يكون مستأهلاً لعلاج النفوس باعتبار أنه خاض التجريبتين الإيمانية العميقة وخبيراً وعارفاً بالحياة الأخلاقية، مستتبصراً بطريقة شفاء النفوس المريضة «فهو يملك الوسيلة لشفاء النفس ونفوس الآخرين»⁽¹⁹⁾.

القسم الثاني: من كدس المصطلحات إلى إبداع المفاهيم: مناهج ونماذج.

في الفصل الرابع عنونه المؤلف بحرية المفاهيم وسؤال المنهج، استهله الكاتب بمفتتح إشكالي، منطلقاً من فكرة مفادها أن أزمة الفكر العربي ليست من طبيعة اقتصادية أو سياسية وإنما من طبيعة رمزية، ويتجلى هذا الإنتاج الرمزي في أبهى صناعته في ورشة المفاهيم، فالمفاهيم باعتبارها نواتج فكرية، وعلامة دال على العقل الحر. فالهدف المركزي لهذا الفصل: «استخراج الخلل الذي يمنع الفكر الفلسفي العربي من الإبداع المفهومي»⁽²⁰⁾.

الأسئلة التي حاول الكاتب أن يجب عليه في هذا الفصل: «كيف تساهم العلوم الإنسانية في مد العقل العربي بعدة منهجية تمكنه من ابداع مفاهيمه، محمد أركون نموذجاً؟ كيف يبدع العقل العربي مفاهيمه من منظور طه عبد الرحمن؟ وكيف السبيل للاستقلال الفلسفي والمفاهيمي في تصورات ناصيف نصار؟

جاء العنصر الأول تحت عنوان: مفاهيم الدراسة، حدد الكاتب: المفهوم الفلسفي، ثم مفهوم العقل الحر، متكئاً على الفيلسوف نيتشه، ويرى أن هناك دالتين للعقل الحر، الدلالة الأولى: تاريخية، والثانية دلالة الاجرائية، فالعقل الحر يعني الأداة التي يكون المفهوم الفلسفي بها مفهوماً إبداعياً»⁽²¹⁾.

(19) المرجع السابق، ص 123.

(20) المرجع السابق، ص 150.

(21) المرجع السابق، ص 155.

العقل الحر يدرك بتمظهره في صورة انتاجات إبداعية، تفتح مغلقاً أو تحركاً ساكناً، أو تستعيد حياً مطمورا، وليس عقلا جذريا كما هو في السياق الحضاري الغربي، الذي تتحد فيه دلالة العقل الحر دوماً، في صراعه العنيف ضد قوى اللاهوت والاستبداد السياسي⁽²²⁾.

أما العنصر الثاني: العقل الحر يحزر المفهوم الفلسفي، من إبداع الحياة إلى إبداع المفاهيم، يرى المؤلف ان علامة العقل الحر؛ هو إبداع أو خلق مفاهيم جديدة، ومهمة الفلسفة الجديدة تتمثل في إبداع قيم جديدة.

في العنصر الثالث عنونه الكاتب بالعقل الحر وشروط الإمكان في الفكر العربي المعاصر: نماذج ومسالك، فالعقل الحر الذي يتخذ من المفهمة نبراساً هادياً له في التفكير، فعنوان الفلسفة هو المفهوم، لكن ليس استجلاب المفهوم كما هو بذاته وصفاته؛ وإنزاله في الفضاء المعرفي المنقول إليه، إنما مسلك الأمن هو إما إعادة إبداع المفاهيم.... وإما إبداع المفهوم ابتداءً؛ كما لو أنه لم يكن سائداً...⁽²³⁾.

- اختار لهذا الغرض الكاتب ثلاثة مفكرين عرب:

1 - محمد أركون أو نحو البحث النقدي عن آفاق جديدة للمعنى والوجود، فأسست أعماله لمفهوم العقل الاستطلاعي النقدي، هادفاً إلى: «تشغيل المفاهيم المستمدة من منجزات علوم الإنسان، كي يجد لها مكاناً منتجاً ضمناً إرادة تفكيك هياكل التفكير الدغمائية»⁽²⁴⁾، وتتمثل الركائز المنهجية لتشغل المفاهيم العلمية عند أركون في ثلاثة نقاط، النقطة الأولى: أن أركون ينطلق من رؤية إطار إبستمولوجي غير معهود، وتتمثل أدواته في المنهجية المتعدد الأبعاد، والنقطة الثانية استزراع مفاهيم بحمولات دلالية في المجال التداولي الإسلامي، حيث يقوم على استيعاب المفهوم في ورشته الأصلية ليكون بعدها أداة منهجية لمقاربة مشكلات العقل الإسلامي وصفاً ورصدًا ونقدًا⁽²⁵⁾. والنقطة الثالثة: أرخنة المفاهيم: رفض القول بتناقل المفاهيم بين الثقافات والحضارات، ممن دون أن تؤثر فيها ظروف الرحلة؛ بحجة الحفاظ على أصولها⁽²⁶⁾.

2- طه عبد الرحمن أو نحو الإحاطة العلمية بتقنيات الإنتاج المفهومي لتحرير القول الفلسفي، يرى الكاتب أن قوة النظر لدى طه عبد الرحمن؛ تتجلى أكثر في الجهد المنهجي، الذي؛ متى أضحى أدواتنا في

(22) المرجع السابق، ص 156.

(23) المرجع السابق، ص 160.

(24) المرجع السابق، ص 164.

(25) المرجع السابق، ص 168.

(26) المرجع السابق، ص 171.

الرؤية والنظر، خرجنا من دائرة تقليد المفاهيم الفلسفية والانحصار في تحليلها إلى: إبداعها أو إعادة إبداعها؛ بما يحقق الاستقلال الفكري والمسؤولية الفلسفية⁽²⁷⁾.

- فقه الفلسفة باعتباره إجراءً منهجيًا للنظر في الظواهر المفهومية⁽²⁸⁾، الفائدة الإيجابية لمشروع فقه الفلسفة، باعتباره رؤية منهجية، ترى النظر في المفهوم نظرة علمية لا فلسفية، وذلك بغرض استخراج قوانين الصناعة المفهومية، وبعدها يكون الانطلاق نحو الإبداع الحر⁽²⁹⁾.

- تأثيل المفاهيم، «التأثيل المضموني المتصل بالاستشكال، والتأويل البنوي المتصل بالاستدلال، كي نخرج فعل التعقل العربي من حيز السكون إلى جريان الحركة، ومن التقليد إلى الإبداع، ومن تلقي المفاهيم المنقولة إلى إطلاق إنتاجية المفاهيم وصناعتها»⁽³⁰⁾.

- ناصيف نصار: الحضور المفهومي وفلسفة الفعل شرط الحرية والإبداع، وتتمثل شروط قيام الإبداع الفلسفي عند ناصيف في: الانتظام في مفهوم الفلسفة، وثانيتها، فلسفة الفعل بما هي المحدد للوجود والمعنى، وثالثتها، ترانبية الفعل الفلسفي من منصة الذات إلى العالم، وكذلك ربط المفاهيم الفلسفية بقضايا الإنسان والقيمة، وبالزمان والمكان، لكن ليس الزمان والمكان بوصفهما مقولتين قبلتين سابقتين على التجربة؛ بل بوصفهما مقولتين فاعلتين تاريخيتين.

الفصل الخامس: مفهوم مبدأ المخالقة والنهوض بواجبات الفضاء العمومي والأخلاق العالمية.

في المفتتح الإشكالي لهذا الفصل، يشير المؤلف إلى مفارقة جوهرية، تتمثل في أن إنتاج الحقيقة في الطبيعة يختلف عنه في عالم الحياة، لذلك نحتاج إلى معايير مفارقة تنظم بها الحياة الإنسانية، ومن هنا طرح المؤلف السؤال التالي: ما هي حدود المسافة بين مبدأ المخالقة ومبدأ المواطنة في الفضاء العمومي؟ وكيف يحقق مبدأ المخالقة التكامل بين المواطن الصالح والإنسان الصالح؟

جاء العنصر الأول بعنوان: في الفضاء العمومي ومنزلة المخالقة، مؤكدا المؤلف على أن شرط الخروج من الفضاء الخاص نحو الفضاء العمومي بكل مراتبه المكانية والأخلاقية والاجتماعية، يقتضي الالتزام بقوانين التخاطب والتعامل بأخلاقيات الحوار، كيما يتحقق التعايش تداوليًا والتعاون منفعياً والتعارف أخلاقياً⁽³¹⁾.

(27) المرجع السابق، ص 174.

(28) المرجع السابق، ص 174.

(29) المرجع السابق، ص 187.

(30) المرجع السابق، ص 196.

(31) المرجع السابق، ص 211.

إلا أن الكاتب يرى أن مفهوم الفضاء العمومي يفتقر إلى مبدأ المخالقة، كإجراء أخلاقي منزل على الفضاء العام، ينتمي إلى دائرة العمل التزكوي، وليس إلى دائرة العمل المنفعي الدنيوي، كما انه له صلة وثيقة بقيمة المواطنة، وان تكامله مع المواطنة يقوي الانتماء للمجتمع.

أما العنصر الثاني عنونه الكاتب بمستلزمات مبدأ المخالقة وانعكاساته على الفضاء العام، أشار فيه إلى ثلاثة مبادئ الآتية:

1- مبدأ المخالقة والمواطنة، من المواطن الصالح إلى الإنسان الصالح، تقوم المواطنة على فكرى الانتماء للوطن بينما تقوم التزكية على التربية المخالقة.

2- مبدأ المخالقة واتساع مدلول الانتماء: إن الترياق الأفضل لمفهوم المواطنة العالمية...هو وصل المواطنة بالمخالقة، كي يتحرر من الموروث السلبي، ومن التحديد الانغلاقي. وتنتفح أكثر على الفطرة الإنسانية الكلية.

3- مبدأ المخالقة والعلاقة الحوارية في الفضاء العام: تتحدد العلاقة الحوارية بالخصائص: إنها تعاون على التخلق، أنها تعاون على المسؤولية، إنها تعاون على التجمل، إنها تعاون على الرحمة. في العنصر الرابع: مبدأ المخالقة والتواجد في التاريخ، يرى المؤلف أن الشريعة في التاريخ الإسلامي، تمثل أحسن نموذج تاريخي تجلى فيه مبدأ المخالقة، «فالشريعة ليست منظومة قوانين مركب من البنيات الأخلاقية والاجتماعية والتربوية لها سلطة قوية المحددات الأخرى القانونية، النسقية والمرجعية، بحيث يستحيل القانون فرعاً من فرعها ليس إلا»⁽³²⁾.

على هذا أساس، تكون روح المخالقة هي المعيار الفاصل حتى ضمن دائرة الخلافات الاجتماعية، لذلك مثلت الشريعة الشاهد الأمثل على تطبيق مبدأ المخالقة في التاريخ الاسلامي.

الفصل السادس: التكامل الأخلاقي وأثره الإيجابي في إنشاء الشخصية الارتقائية من منظور فلسفة أحسن تقويم.

يروم المؤلف في هذا الفصل البحث عن ماهية التكامل الأخلاقي، وفحوى الإشكالية لهذا الفصل كما يلي: كيف نؤسس للشخصية الارتقائية التي تتوحد وتتكامل فيها الأشواق الروحية والحاجات المادية؟ حيث يسعى المؤلف لتوضيح مفهوم التكامل الأخلاقي، إذ يعتبر أن هذا المفهوم مركب، يتضمن معاني أهمها: اعتبار الماهية الأخلاقية كمحدد جوهري في تعريف الإنساني استبعاداً للرؤى الأخرى التي تجعل من العقل المنطقي

(32) المرجع السابق، ص228.

أو الرياضي كماهي لتعريف الإنسان فهذه الرؤى مفهومها ناقص واختزالي للإنسان، فالتكامل الأخلاقي بمعنى الأثر الايجابي للعمل على العلم «فالعامل يجدد نور السراج، فما يورثه العمل من أثر على العقل لا يورثه العلم النظري مهما كانت مستوياته»⁽³³⁾، فالتكامل الأخلاقي بمعنى توجيه المعارف بالقيم الأخلاقية. العنصر الثاني وهو تحديد مفهوم الشخصية الارتقائية، يعرفها المؤلف بأنها تلك الشخصية التي تلبس لبوس الطاقة الروحية فهو جهد يصدر عن الروح ويتجلى في العمل الإبداعي لهذه الشخصية، أما بالنسبة لمنهاج التكامل فهو يتضمن:

1. الانتساب الإيماني.

2. مبدأ الشهادة.

3. مبدأ الأمانة.

أما بالنسبة لفلسفة أحسن تقويم فهي تتضمن دلالات أهمها:

1. دلالة أحسن تقويم من الناحية الإيمانية: وهو المدرج الذي يرومه الإنسان من حيث هو مؤهل أن يصبح إنساناً متحلياً بالصفات الحسنة.
2. دلالة أحسن تقويم من الناحية المعرفية والذاتية: «حيث تتوجه إلى أعماق الوعي، من أجل البحث فيه عن جوهرة النفيسة، وهي الفطرة التي تتشوّق دائماً للسؤال»⁽³⁴⁾.
3. دلالة أحسن تقويم من الناحية الأخلاقية: «فإذا تخلى الإنسان عن أنانيته وطلب الخير والوجود من التوفيق الإلهي وارجع الأمر كله لله وترك إتباع الهوى فاكتمل عبداً لله تائباً مستغفراً ذاكراً له سبحانه، فتقلب القابلية العظمى عنده للشر إلى فاعلية عظمى للخير»⁽³⁵⁾.

في خاتمة الكتاب:

أوجز الباحث النتائج التي خلص إليها، ولعل من أقوى النتائج التي دونها، أنه لا تجديد في العلوم ولا إبداع في المفاهيم، ما لم يسبق ذلك يقظة في الروح وتفعيلاً للوجدان، يتحرر بموجها العقل من عطالته والفكر من جموده؛ ذلك أن القيم الروحية لها أسبقية على المعرفة العلمية، وإذا لم تتجدد القيم الروحية، فلا تجديد في العلوم بخاصة الإنسانية منها، ولا تجديد لعالم المفاهيم، الذي يعد أمانة على حركة الفكر وانطلاقه⁽³⁶⁾.

(33) المرجع السابق، ص 244.

(34) المرجع السابق، ص 246.

(35) المرجع نفسه، ص 247.

(36) المرجع السابق، ص 277.